الدلالة وعلم البلاغة :

ربما لا يذكر الباحثون في الغالب أن هناك مستوى في البنية اللغوية يسمّى المستوى البلاغي ؛ لأنه متداخل مع المستوى الإبلاغي الذي يعتمد التراكيب أو الاسناد أساسا ، و إنما هناك أنواع من التصرف في الكلام قد تجعله بليغا ويتفاوت في ذلك المتكلمون ، و مما يشير إلى أن الدلالة البلاغية في سياقاتها تختلف عن الدلالات الأخرى مع ارتباطها بها أننا لو أخذنا المثال المشهور من التراث اللغوي العربي كثير الرماد فالدلالة النحوية هنا لو وقفنا عندها كانت أن شخصا ما عنده الكثير من الرماد (بقايا النار) و قد يكون ذلك للاتجار به أو أن يكون للقذارة و عدم التخلص منه، و لكن في السياق البلاغي تكون دلالة كثير الرماد) على الكرم ... ، وهذا الذي سمِّي عند الجرجاني بمعنى المعنى، و كنا قد ذكرنا أن أوجدن وريتشارد) قد ألفا كتابا في عام ١٩٢٣ بعنوان "معنى المعنى " the meaning of meaning وأن عبد القاهر الجرجاني قد سبق إلى ذلك و إن كان بمجرد إشارة. فضلا عن علاقة الدلالة بالنص (الدلالة النصية)، إذ إن هناك من يرى أن الوحدة الدلالية . و أن أي امتداد للكلام ابتداء من المورفيم - و ربما دون ذلك . هو وحدة دلالية (انظر : أحمد مختار عمر علم الدلالة عالم الكتب ص ٣٢) علما بأن أبرز وحدة دلالية هي الكلمة ؛لأنها المستوى الأساس في البنية اللغوية (مستوى الوحدات الدالة) .

الدلالة و المعجم: (الدلالة الاجتماعية)

كل كلمة من كلمات اللغة العربية لها دلالة معجمية مستقلة عمّا توحيه أصواتها أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الأصلية أو المركزية أو القاعدية ، و يطلق عليها الدلالة الاجتماعية. و لكن عندما تنتظم كلمة ضمن الجملة تضاف إلى الكلمة كل الدلالات الأخرى و لا يتم الفهم إلا بالوقوف عليها جميعها. و أصل المعنى المعجمي هو ما تدل عليه الكلمة من المعنى الوضعي ،و هذا ما أشار إليه الزمخشري عندما قال في كتابه المفصل: " الكلمة هي اللفظ الدال على معنى مفرد بالوضع ". هذا المعنى المرتبط مبدئيا بالأصول الصوتية (العربية ثلاثية الأصوات) هو الذي تنطلق منه المعاني الأخرى ،و قد ارتبطت المعجمات العربية القديمة و الحديثة (غالبا) بمبدأ الأصول الثلاثية ،حتى رأى بعضهم (ابن جني)

و ربما من قبله (الخليل بن أحمد) : أن المعنى الأصلي يظل مرتبطا بهذه الأصول و لا يكاد يفارقها حتى و إن تغير ترتيبها في الكلمة الواحدة (الاشتقاق الكبير) ـ أو حتى لو أبدلنا بها ما يقاربها من الأصوات (الاشتقاق الأكبر) ، وإن كان الذين اعتمدوا هذا الرأي قد تأولوا كثيرا، فضلا عن أن هناك من عدّ المادة الصوتية الأولى في الكلمات اللغة كانت صوتين فقط ،أو ما يعرف بالمقطع الصوتي القصير المغلق (قط، شد، شك) هذا تاريخيا ،ثم انتقلت هذه الثنائية إلى المعجم بتضعيف الصوت الثاني (قطّ، شدّ، عضّ) الثلاثي المضاعف و نظرا للحاجة إلى تنويع المعنى أضيف فيما بعد صوت ثالث تتويجا أو حشوا من ذلك قط + ع = قطع – و + ر = قطر، و+ م= قطم.....وفج بإدخال صوت في وسطها تصبح فلج أو فرج .

و لعلّ ما يشير إلى علاقة الدلالة بالمعجم أن هناك معجمات بُنيت على أساس المعاني، و سميت معجمات المعاني ، وقد كان هذا في التراث اللغوي العربي عندما وضع جامعو اللغة الأول ما يسمّى بالرسائل اللغوية المتعلقة بأحد الموضوعات أو المعاني مثل: كتاب الإبل، و كتاب الخيل، و الأنواء و غير ذلك كما أن هناك الآن معجمات نبحث فيها اعتمادا على اللفظ، فان هناك معجمات أخرى يبحث فيها اعتمادا على المعنى.

علاقة علم الدلالة بالعلوم غير اللغوية :

في الواقع لا يمكن فصل علم الدلالة عن أي من العلوم الأخرى ،سواء الإنسانية أو الرياضية و الطبيعية، فالعلوم كلها تعتمد الدلالة في جميع مساراتها. بل كل شيء في الحياة في علاقة الإنسان بما يحيط به من الكون و ما ينشأ عنه من فعاليات يعتمد الدلالة أساسا.

١ - الدلالة و التعبيرات الاصطلاحية:

إذا كان المعنى النحوي الذي ينشأ من التركيب أو الإسناد هو معنى (دلالة) مختلفة عن دلالة عناصر الإسناد المفردة المعجمية (ارجع إلى ما ذكره الجرجاني)، فان هناك تعبيرات مركبة (اصطلاحات خاصة) دلالتها غير الدلالة الاسنادية المباشرة التي قد تفهم من التركيب، فهي مستوى ثالث من الدلالة يتكون من عدد من الكلمات أو المورفيمات الحرة كقولنا: (البيت الأبيض) الذي يشير إلى مؤسسة إدارية سياسية و ليس إلى بناء أو قصر من حيث الدلالة. و مثل ذلك تعبير (الصحافة الصفراء)، و(الباب العالي)،و عندما نقول عندنا (القصر الأبيض) و نقصد مؤسسة رئاسة الجمهورية.

و يجب أن نميز بين هذا النوع من التعبيرات المركبة و بين ما شبهها كقولنا :(الدار البيضاء) علما على مدينة إذ إن هذه التسمية لم تزل تشير إلى الأصل فربما كانت هناك دار بيضاء اللون.

٢ ـ الدلالة و الفلسفة.

من المعروف أن ارتباط الدلالة بالفلسفة و المنطق كان أظهر من ارتباطه باي علم آخر، بل كان الباحثون لا يفرقون ربما بين علم الدلالة والفلسفة غير أن علم الدلالة ينفصل تدريجيا ويدخل ، بل يتمركز في دائرة العلوم اللغويّة ، بل ما زال علماء الفلسفة يدرسون علاقة موضوعاتهم الفلسفية بعلم اللغة ، وقد كان فلاسفة اليونان قد اهتموا بهذه العلاقة و لعل ما يرد في الدراسات اللغوية من الحدود و التقسيمات ، و من مصطلحات مثل :الخبر و الإنشاء و اسم الجنس و اسم النوع ، لا ينفك عن علم المنطق، بل أن هناك من المناطقة من اختص بلم الدلالة و ربما كانت الأمثلة اللغوية المستقلة في المنطق تبين بوضوح مثلا هذه العلاقة مثل :

كل إنسان فان - محمد إنسان - محمد فانٍ - كل نار لها دخان ، لكن ليس كل دخان يدل على النار.

٣ - الدلالة و علم النفس.

يبحث علم النفس في طريقة اكتساب اللغة، و كيفية التعلم ، و لعل اهتمام علماء النفس بموضوع الإدراك من أبرز ما يربط بين علم النفس و علم اللغة و (منه الدلالة) إذ إن الإدراك ظاهرة فردية و الناس يختلفون في إدراك الكلمات و في تحديد دلالاتها. و يلاحظ أن للغة جوانب نفسية تتغير بتغير الأحوال من فرح و حزن و غير ذلك. و يظهر هذا من كلام المتكلمين .

٤ - الدلالة و علم الاجتماع :

اللغة ظاهرة اجتماعية و حدّها كما ذكر ابن جني: " أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "، فهي تعبير عن الأغراض و العادات و التقاليد الاجتماعية ، و علم الدلالة يهتم بحياة الناس و عاداتهم ، و كل ما يتعلق بفعالياتهم الحياتية. بل و تعكس بعض ألفاظ اللغة و تراكيبها نمط التفكير الاجتماعي، من ذلك ما يذكر من أن العرب يقولون: رجل للأدمي الذكر البالغ ، و لكنهم لا يقولون رجلة للأدمية الأنثى البالغة .

<u>تطبيق عن علاقة الدلالة بالفلسفة والبلاغة (الفلاسفة ، والبلاغيين) :</u>

١ ــ يقول ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله(٤٢٨ هـ) : "إنّ الإنسان قد أوتي قوةً إما حسيّه ترتسم فيها صور الأمور الخارجية و تتأدى عنها إلى النفس ترتسم فيها أن ارتساما ثانيا ثابتا و إن غابت عن الحس ...، و معنى دلالة الألفاظ أن يكون إذا أرتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معني فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه " الشفاء / ٣ ــ ٤ .

٢ - يقول الغزالي (أبو حامد " ت ٥٠٥ هـ" : " إن للشيء وجودا في الأعيان ، ثم في الأذهان ، ثم في الألفاظ ، ثم في الكتابة ، فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان ".**معيار العلم ص ٣٥ ٣٠٠"**

" ٣ . يقول حازم القرطاجنيّ " ت ٦٨٤ هـ" : كل شيء له وجود خارج الذهن فانه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه ، فإذا عبر من تلك الصورة الذهنية الحاصلة من الإدراك ، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ لمن لم يتهيا له سمعها من المتلفظ بها ، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليه " **منهاج البلغاء وسراج الأدباء مس ١٨ ــ ١٩"**

المطلوب : حلل هذه النصوص ، مستخرجا أهم الظواهر اللغوية الواردة فيها ، ثم قارنها بما توصلت إليها اللسانيات الحديثة ممثلة بآراء " دوسوسير ".

التحليل :

عني الدارسون القدامى على اختلاف اتجاهاتهم العلمية من فلاسفة : أبو حامد الغزالي ، وابن سينا ، وبلاغيين (لغويين) : حازم القرطاجنيّ بطبيعة الدليل اللغوي من حيث هو شيء محسوس بديل في الواقع المدرك عن الشيء الموجود في المحيط الخارجي حتى وان غاب عن الأعيان .

ففي النص الأول يحدد لنا ابن سينا أهم العناصر التي تساهم في تشكيل العملية الدلالية وهي:- صور الأمور الخارجية، النفس ، مسموع اسم ، دلالة اللفظ ، والمعنى .

فعندما يودّ الإنسان التعبير عن شيءٍ ما موجود في المحيط الخارجي، يبدأ بإدراكه أولا، أي يحدد تصوره لذلك الشيء، فتتشكل في ذهنه صورة له (وهو المعنى)، حتى وان غاب عن الحس ثم يعبر عن ذلك التصور الذهني باسم .

إذن الدليل اللغوي عند ابن سينا يتكون من ثنائية (مسموع اسم، معنى) وهو بذلك يلغي (المرجع) .

فإذا قارنا هذا الرأي مع ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة يتبين لنا أن تصور ابن سينا يتوافق مع تصور دوسوسير للدليل اللغوي ، فكلاهما يلغي المرجع منه .

الدليل اللغوي عند ابن سينا ...مسموع اسم + معنى.

وعند دي سوسير ... صورة صوتية + صورة ذهنيّة .

لكن نلاحظ في النص الثاني، ان الغزالي يعتبر المرجع عنصرا اساسيا في الدليل اللغوي، والذي يتشكل من اربعة اطراف اساسية هي : . الموجود في الأعيان، الموجود في الأذهان الموجود في الألفاظ ، الموجود في الكتابة .

يتبين لنا أن الغزالي استطاع أن يثبت قدرة الإنسان التكيف مع العالم الخارجي (الأعيان) باستعماله لعقله (الذهن) الذي سمح له بإبداع الدال (الألفاظ) بوصفها رموزا تعبر عمّا أدركه في ذهنه للعالم الخارجي ،ثم تأتي عملية الكتابة ؛لتثبيت ذلك الإدراك.

فالأشياء الموجودة في المحيط الخارجي والتي اصطلح عليها بتسميات مختلفة بحسب اتجاهات العلماء . وهي المدلول عليه، المرجع، الاعيان، الأمور الخارجية، الشيء، لا يمكن للإنسان أن يعبر عنها إلا بعد إدراكها ، أي وضع تصوره لها في الذهن ، فيتشكل له مدلول عن ذلك الشيء ثم يشكل الصورة اللفظية أو الدال الذي سيتلفظ به ويمكنه من التواصل مع سائر البشر .

ولا يخرج حازم القرطاحني – بوصفه بلاغيا - في النص الثالث عن هذا التصور العام للعملية الدلالية فهو يحدد أيضا أنواع العلاقات الدلالية التي ترتبط مع بعضها انطلاقا من مختلف العناصر المكونة لها وهي - المرجع أو المدلول عليه والذي عبر عنه ب:" كل

شيء له وجود خارج الذهن " ـ والمدلول " إذا أدرك حصلت له صورة تطابق ما أدرك منه" ـ الدال " أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم "

فالمعنى عنده بوصفه مدلولا تدل عليه علامة لغوية وهو محصلة لعملية إدراك الواقع الخارجي فشال اللفظ) يعبر عن الصورة الذهنية المدركة وهذا يتساوى اللفظ في دلالته على تلك الصورة الذهنية مع دلالة الرموز الكتابية - عّبر عنها حازم القرطاجني ب " رسوم الخط ". في دلالتها على اللفظ " لمن لم يتهيا له سمعها " ـ بحسب ما جاء في النص - لأن الرسم الخط يدل على هيئات الألفاظ ، و في هيئات تدل بدورها على المعاني الحاصلة في الأذهان ، هذه الأخيرة تدل على الأشياء الخارجية ، العالم الخارجي يتحول عن طريق الإدراك في الذهن إلى مجموعة من المفاهيم (المدلولات) ثم يتحول إلى دلالات صوتية (دوال) ثم إلى رموز كتابية ، إذا اقتصت الحاجة لذلك .

ويمكن لنا توضيح تلك العلاقات بين مختلف العناصر ب:

الرموز الكتابية دال) ..... الصورة الصوتية أي اللفظ .

الصورة الصوتية أي اللفظ (دال)..... الصورة الذهنية (مدلول)

الصورة الذهنية (دال)..... الأشياء خارج الذهن (مدلول)

كل مدلول - بحسب تصور حازم القرطاجني ـ يتحول بدوره إلى مدلول ، فالصورة الصوتية تكون مدلولا في علاقتها بالرموز الكتابية ، لكنها تصبح دالا في علاقتها بالصور الذهنية ، والصور الذهنية تكون مدلولا في علاقتها بالصورة الصوتية وتتحول إلى دال في علاقتها بالعالم الخارجي المحيط بنا .